مقدمة

إن الحديث عن العمارة الإسلامية حديث شيق وطويل ويحتاج إلى مجلدات ومجلدات ذلك أن مدن مصر وبخاصة القاهرة وتزخر بسلسلة متصلة الحلقات تنتظم فيها كافة المنشآت المعمارية دينية كانت أم مدنيه أم حربية ، وكذلك أصبح من الميسور دراسة نشأة الطراز المصرى فى العمارة الإسلامية وتتبع مراحل تطوره عبر العصور المختلفة فضلا عن التأثيرات العديدة التى أثرت فيه شرقية كانت أم غربية والتى سرعان ما كانت تتطور وتتمصر أى تكتسب طابعا مصريا خالصا [1] .

ولقد توفر على دراسة العمارة المصرية الإسلامية عبر عصورها المختلفة عدد كبير من العلماء والباحثين وقدموا لنا فى هذا المجال أعمالا لها قيمتها وأصالتها العلمية ، ورغم تعدد هذه الدراسات وتنوعها إلا أنه لا تزال هناك بعض الموضعات التى تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث والتحليل .

ومن أهم هذه الموضوعات ما يتصل بدراسة تخطيط العمائر المختلفة وإبراز أصوله وتطوره من جهة والعناصر المعمارية وخاصة الإنشائية من جهة ثانية .

وهذا النوع من الدراسات التحليلية كان وما يزال ، مثار إهتمامى

(١) عن نشأة الطراز المصرى فى العمارة الإسلامية ومراحل تطوره المختلفة .
انظر : محمد حمزة الجداد : الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية .
(دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة سنة ١٩٩٠ م) صـ ٢ : ٢٤

سواء فى رسالتى للماجستير[1] والدكتوراه[2] أو فى أبحاث التالية لهما سواء التى فرغت [3]منها أو التى ما تزال قيد البحث .

وموضوع هذا الكتاب ينتمى إلى هذا النوع من الدراسات التحليلية فهو يتصل بدراسة أحد العناصر المعمارية الهامة فى العمارة الإسلامية عامة والعمارة المصرية الإسلامية خاصة وهو القباب ، وخاصة القباب المقامة فوق المدافن .

والقبة ، كما هو ثابت ومعروف تعد من أعظم الابتكارات المعمارية التى أسهمت بدور بارز خطير الشأن فى تطور نظم العمارة لصفة عامة ، وترجع أصول هذا الابتكار إلى ما قبل العصر الإسلامى بقرون عديدة[4].

وفى العصر الإسلامى تطورت القباب تطوراً عظيماً لم تشهده من قبل ، سواء من حيث أشكالها وهيئة قطاعها وتناسب تكوينها المعمارى أو من حيث مناطق انتقالها من الداخل أو الخارج أو من حيث ما يكسوها من زخارف بلغت الغاية فى الدقة والإبداع . أو من حيث أشكالها الجديدة المبتكرة التى اتبعها المعمار المسلم وكان لبعضها أثر كبير فى تطور

---

(١) محمد حمزة الحداد : قرانة القاهرة في عصر سلاطين المماليك .
(ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة ١٩٨٧ م) .

(٢) محمد حمزة الحداد : الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية .

(٣) محمد حمزة الحداد : ـ عمائر القاهرة الدينيه فى العصر العثمانى دراسة تحليلية مقارنة للتخطيط وأصوله المعمارية (المجلة التاريخية المصرية المجلد ٣٧ سنة ١٩٩٠ م) .
ـ العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى لمدارس القاهرة إبان العصر المملوكى (ضمن كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ـ سلسلة تاريخ المصريين العدداه ـ القاهرة ١٩٩٢ م) .

(٤) أنظر صـ ٢٤ ـ ٢٥ من الكتاب .

العمارة الأوربية [1]. أو من حيث استخداماتها العديدة فى العمائر الدينية والجنائزيه والمدنية والحربية .

واتخذت القباب فى كل قطر من أقطار العالم الإسلامى طابعا خاصا بها ، وليس هناك شك فى أن القباب فى العمارة المصرية الإسلامية تعد

(١) من أبرز هذه الأشكال المتبكرة القباب المخروطة أو المخروطية (الميل) بأنواعها المختلفة والقباب السمر قندية والقباب ذات الضلوع البارزة المتقاطعة والقباب ذات المناور أو الجواسق وكان لكل من هذين النوعين الأخيرين أثر كبير فى تطور القباب الأوربية . والقباب المقرنصة (المقربصة كما هو معروف فى المصطلح المغربى) . انظر :

حسن عبد الوهاب : مميزان العمارة الإسلامية فى القاهرة (المؤتمر الأول للآثار فى البلاد العربية) دمشق ١٩٤٧ م . صـ ١٨٢ - ١٨٣ .

- السيد عبد العزيز سالم : أثر الفن الخلافى بقرطبه فى العمارة المسيحية بأسبانيا وفرنسا (المجلة العدد (١٤) فبراير ١٩٥٨ م) . ص . ٨٠ - ٨٣ .

- أثار الإسلام التاريخية فى الاتحاد السوفيتى . طشقند ١٩٦٢ م .

- أحمد فكرى : التأثيرات الفنية الإسلامية العربية على الفنون الأوربية . مجلة سومر - المجلد ٢٣ - جـ١ - ٢ - بغداد ١٩٦٧ م ، ص ٧٦ - ٧٩ .

- فريد شافعى : العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها . الرياض ١٩٨٢ م . ص ١٨٠ - ١٨٢ .

- علاء الدين العانى : المشاهدذات القباب المخروطة فى العراق . بغداد ١٩٨٢ م .

- Lambert (E)
Lesorigines de la crois`ee d'orgives,offices des instituts d'Archeologie et d'histoirt NO 8 - 9 November 1936 Mars 1937

- Mars 1936 .
Les coupeles des gramdes Mosqu`ees de Tunisieet de l'Espagne ou ixe et xe siecles Hesperis tome xxll, fase 11, 1936 .

- Costa (A . and lockhart (L .) . Persia London, 1961 .

من الخصائص البارزة التى ينفرد بها الطراز المصرى وتميزه عن غيره من طرز العمارة فى الأقطار العربية والإسلامية الأخرى .

وقد تنوعت استخدامات القباب فى العمارة المصرية الإسلامية سواء فى العمائر الدينية أو المدنية أو الحربية غير أن الذى يهمنا فى هذا الكتاب هو القباب الجنائزية أى القباب المقامة فوق المدافن ، ومن المعروف أن القبة بصفة عامة قد عرفت فى العمارة المصرية الإسلامية ، كما يستدل من الاشارات الكثيرة المتناثرة فى المصادر الكثيرة ، منذ وقت مبكر [1].

ورغم ذلك فإن أقدم الأمثلة الباقية المؤكدة ترجع إلى القرن ٤ هـ / ١٠ م ، ومنذ أواخر القرن ٥ هـ / ١١ م وحتى أواخر القرن ١٣ هـ / ١٩م انتشرت القباب انتشارا كبيراً وخاصة القباب المقامة فوق المدافن سواء كانت مستقلة أم ملحقة بغيرها من العمائر الدينية غالبا والمدنية أحيانا[2].

وتحتفظ مدينة القاهرة خاصة بالعديد من هذه القباب التى أصبحت علما عليها وهو الأمر الذى يجعلها جديرة بأن تسمى - علاوة على

- Costa (P .) Lslamic shrines on the sat Al - Nil, Annali dell istitute Orientale di Napoli, vol . 31 part 2 Napoli, 1971 .

(١) ابن عبد الحكيم (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم) .
فتوح مصر وأخبارها - تقديم وتحقيق محمد صبيح - القاهرة ١٩٧٤ م - صـ ٨٦ - ٨٧ . - ابن دقماقه (إبراهيم بن محمد بن ايدمرالعلائى) .
الانتصار لواسطة عقد الأمصار - ق ١ ط٢ بيروت بدون تاريخ صـ ٣٤ ٤٩٢ .

(٢) ترجع أقدم الأمثلة ،الباقية للقباب المدافن الملحقة بالعمائر المدنية إلى العصر العثمانى .
محمد حمزة الحداد : العمارة الإسلامية فى مصر منذ الفتح العثمانى وحتى نهاية عهد محمد على - المدخل - القاهرة ١٩٩٢٥ م . صـ ٥٢ - ٥٨ .

تسميتها بمدينة المآذن أو مدينة الألف مئذنة ـ بمدينة القباب .

ويتناول هذا الكتاب دراسة تحليلية متعمقة لنشأة وتطور القباب المدافن فى العمارة المصرية الإسلامية منذ اقدم أمثلتها الباقية وحتى نهاية القرن ١٣ هـ / ١٩ م .

وحرصا منا على خروج هذه الدراسة بالمستوى اللائق والمتكامل قمنا بتقسيمها إلى جزئين الأول يتناول نشأة وتطور القبة المدفن فى مصر الإسلامية منذ أقدم أمثلتها الباقية وحتى العصر المملوكى ، والثانى يتناول القبة المدفن منذ فتح العثمانى لمصر ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م وحتى نهاية القرن ١٣ هـ / ١٩ م .

وقد اقتضى هذا البحث دراسة واسعة ومستفيضة فى المصادر العربية، فضلا عن المراجع العربية والأجنبية التى تناولت بالإيجاز أو الإسهاب بعض جوانب هذا الموضوع سواء فى أبحاث مفردة أم ضمن المؤلفات التى تتناول العمارة الإسلامية وعناصرها بصفة عامة .

ومن أهم المصادر العربية التى اعتمدت عليها كتب المزارات مثل : مصباح الدياجى لابن الناسخ ، والكواكب السيارة لابن الزيات ، ومرشد الزوار للخزرجى ، وتحفة الأحباب للسخاوى ويلى هذه المصادر كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المعزيزية ».

واعتمد أيضا على بعض المعاجم اللغوية وذلك لتفسير بعض مدلولات الألفاظ والمصطلحات التى وردت فى ثنايا الدراسة ومن أهمها : المخصص لابن سيده ، ولسان العرب لابن منظور ، والمغرب فى ترتيب المعرب للخوارزمى ، وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى ، ومختار الصحاح للرازى ، والمصباح المنير للمقرى .

وقد عالجت من خلال كتب الحديث النبوى الشريف وكتب الفقة

الإسلامى حكم البناء على المدافن والقبور الإسلامية ، وهل هو جائز أم مكروه أم محرم ؟

ومن أهمها : صحيح مسلم للبخارى ، وكتاب مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكتاب « شرح الصدور بتحريم رفع القبور » للشوكانى ، والمغنى لابن قدامه ، وسنن ابن ماجه ، وصحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ، والمدخل لابن الحاج ، والمحلى لابن الحزم ، وشرح فتح القدير لابن همام الحنفى ، والروضة الندية لأبى الطيب القنوجى ، وحاشية ابن عابدين ، وكتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للشيخ الألبانى وغيرها .

واعتمد أيضا على مصدر خصب لا يمكن تجاهله أو إنكاره ألا وهو الوثائق الخاصة بالقباب المدافن الملحقة بالعمائر الدينية .

أما المراجع العربية الحديثة فمن أهمها بعض مؤلفات العلماء والباحثين فى العمارة الإسلامية ، ومن بينها مؤلفات كل من السادة الأساتذة : دكتور / زكى محمد حسن ، المرحوم / حسن عبد الوهاب ، دكتور / فريد شافعى ، دكتور / أحمد فكرى ، ودكتور / حسن الباشا ، دكتور / سعاد ماهر ، دكتور / كمال سامح وغيرهم .

واعتمدت أيضا على عدد كبير من المراجع الأجنبية التى وجهت اهتمامها لدراسة بعض جوانب هذا الموضوع ومن أهمها مؤلفات وأبحاث كل من السادة العلماء : ماكس فان برشم ، ريفويرا ، بريجز ، كريزويل ، دافيس ، ديفونشير ، دللى ، هو تكير وڤييت ، لينبول ، مهرن، كسلر ، ما ينكه .. » وغيرهم .

ويضاف إلى ما سبق الزيارات الميدانية التى تعد بحق عماد هذه الدراسة ، حيث قمت بزيارات متتالية ومتعددة إلى القباب المدافن

بالقرافة والقاهرة سواء أكانت قباب مستقلة أم ملحقه بغيرها من العمائر مما كان له أثره الكبير فى إخراج هذه الدراسة على تلك الصورة .

وقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول وخاتمة :.

الفصل الأول : القبة المدفن فى العمارة الإسلامية . يعالج هذا الفصل المسميات المختلفة التى أطلقت على المدافن أو القبور ثم أراء الفقهاء فيما يخص البناء على المدافن والقبور ، وأخيرا نشأة القبة المدفن فى العمارة الإسلامية عامة ومصر خاصة .

الفصل الثانى : مكونات القبة المدفن . يعالج هذا الفصل مكونات القبة المدفن بدء منمنساقى الدفن ومرورا بالمربع السفلى فمنطقة الانتقال وانتهاء بالرقبة والقبة .

الفصل الثالث : الزخارف ـ يعالج هذا الفصل الزخارف المختلفة للقبة المدفن وبخاصة زخارف منطقة الانتقال والرقبة من الداخل ومن الخارج وأيضا زخارف باطن القبة وظاهرها .

هذا وقد فردت الخاتمة العرض النتائج التى توصلت إليها الدراسة .

وأود أن أشير هنا إلى عدة نقاط هامة :

١ ـ لم أضمن الكتاب الدراسة الوصفية للقباب ـ المدافن وذلك حرصا على زيادة حجم الكتاب من جهة ، والتكاليف من جهة أخرى .

٢ ـ استعنت في هذه الدراسة بالرسومات الموجودة بمركز تسجيل الآثار الإسلامية بهيئة الآثار المصرية إلى جانب بعض الرسومات المنشورة فى المؤلفات والأبحاث المختلفة وأود أن أسجل هنا خالص الشكر والتقدير لأساتذتى الأفاضل ا . د / حسن الباشا ، ا . د / سعاد ماهر محمد ، ا.د/صلاح البحيرى ، ا . د / آمال العمرى ، ا . د / عبد العزيز عبد

الدايم، ا . د / مصطفى شيحة جزاهم الله عنا وعن العلم خير الجزاء .

كما أسجل أيضا خالص الشكر والتقدير إلى أستاذى الجليل / عبد الرحمن عبد التواب جزاه الله عنا وعن العلم خير الجزاء .

كما أتقدم / بخالص الشكر والتقدير إلى زملائى بكلية الآثار وبخاصة لزميل دكتور / على الطايش ، والزميل الدكتور / جمال عبد الرحيم ، والزميل الدكتور / حسين رمضان والزميل الدكتور / محمد الكحلاوى .

كما أتقدم بالشكر لكل من السيدة / وداد إسماعيل ، والسيدة / آمال أمين وجميع الزملاء بمركز تسجيل الآثار الإسلامية بهيئة الآثار المصرية ، وأخيرا أسجل خالص الشكر والتقدير إلى السادة أمناء المكتبات فى كل من مكتبة كلية الآثار ، والمكتبة العامة بجامعة القاهرة ، ومكتبة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ومكتبة المعهد الفرنسى ، ومكتبة كريزويل بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، والمكتبة المركزية بجامعة عين شمس ودار الكتب المصرية .

وبعد فإذا كنت قد وفقت فيما قصدت إليه فلله الحمد وهو من وراء قصدى خير معين ، وإن كنت قد قصرت ، فحسبى أن تكون هذه الدراسة لبنة صغيرة فى مجال الدراسات الآثارية التحليلية .

والله أسأل أن يحتل هذا الكتاب مكانه اللائق بين الكتب العلمية الجادة والمميزة ، وأن يسد فراغا فى المكتبة العربية ، وعلى الله قصد السبيل .

دكتور / محمد حمزه إسماعيل الحداد

القاهرة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.